

ماهية العدوانية والنظريات المفسرة للسلوك العدواني لدى الأطفال. The nature of aggression And theories explaining aggressive behavior of children

د. عماريوسف الوحيدي 1 ، د. ريماء حسيب شعيب 2

1 برنامج التعليم بوكالة الغوث الدولية (فلسطين)، ammarwh@gmail.com

2. وزارة التربية اللبنانية (لبنان)، rimach2009@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 /12/12 تاريخ القبول: 2023 /01/04 تاريخ النشر: 2023 /02/27

ملخص:

هدف البحث إلى توضيح ماهية العدوانية والسلوك العدواني لدى الأطفال، والأسباب التي تؤدي إلى السلوك العدواني، كما كشف البحث عن مظاهر السلوك العدواني وأشكاله، ومحاولة تفسير السلوك العدواني بحسب النظريات العلمية التي اشغلتها هذه الظاهرة لما لها من انتشار وأثر على الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: العدوانية؛ السلوك العدواني؛ مظاهر العدوانية.

Abstract:

The research aimed to clarify The nature of aggression and aggressive behavior of children, and the reasons that lead to aggressive behavior. The research also revealed the manifestations and forms of aggressive behavior, and an attempt to explain aggressive behavior according to the scientific theories that occupied this phenomenon because of its spread and impact on the individual and society.

Keywords: aggressiveness; Aggressive behavior; Aggressive manifestations.

* المؤلف المرسل: د. عماريوسف الوحيدي ، الإيميل: ammarwh@gmail.com

مقدمة:

يتميّز الطفل القلق بشحنات شديدة من العدائية في السلوك، والتي تندفع بقوة وتهوّر لتسبّب الأذى للنفس أو للآخرين أو بالأشياء المادية. ينتج السلوك العدواني عن خلل في المرحلة النرجسية الشرجية حسب فرويد، وهو أيضاً يتشكّل عند الطفل نتيجة تعرّضه للمعاملة السيئة أو الإحباط والحرمان العاطفي وعدم الأمن، ونتيجة شعوره بالنقص وعدم الاستقرار. وهي تتنوّع بين: عدوانية فعلية، عدوانية لفظية، عدوانية رمزية، عدوانية جنسية،... "فالعدوانية هي تلك النزعة التي تتجسّد في تصرّفات حقيقية أو هوائية، وترمي إلى إلحاق الأذى بالآخر، وتدميره وإذلاله" (لابلانكش و بونتاليس، 1985، صفحة 322). ويُعرّف فيشباخ Feshbach السلوك العدواني على أنّه "كل سلوك ينتج عنه إيذاء شخص آخر أو إتلاف شيء ما، وهو ينطوي على شيء من القصد والنية" (عمارة، 2008، صفحة 10). ويرى باندورا Bandura أنّ "العدوان سلوك يهدف إلى إحداث نتائج تخريبية أو مكروهة، أو السيطرة من خلال القوة الجسدية واللفظية على الآخرين، وينتج عنه إيذاء الآخر وتحطيم الممتلكات" (عبد المعطي، 2001، صفحة 444).

وبناء على ذلك فقد جاء البحث ليجيب عن التساؤلين الآتيين:

- 1- ماهية السلوك العدواني وأسبابه ومظاهره وأشكاله؟
- 2- ما النظريات المفسرة للسلوك العدواني لدى الأطفال؟
- أهمية البحث: يشكّل هذا البحث محاولة لدراسة العدوانية عند الأطفال، عبر فهم أسبابها ومظاهرها وتقديم المقترحات اللازمة والتوصيات المناسبة في التعامل مع هذه الحالات. ومن الناحية النظرية تكشف عن أهمّ النظريات التي تناولت هذه الظاهرة بإشكالياتها وتناقضاتها وإلقاء الأضواء على التفسيرات لهذه الظاهرة.
- أهداف البحث: يهدف البحث بشكل رئيس إلى:
 - 1- الكشف عن ماهية السلوك العدواني وأسبابه ومظاهره وأشكاله.
 - 2- التعرف إلى جوهر السلوك العدواني من خلال النظريات المفسرة للسلوك العدواني لدى الأطفال.

1. العدوانية:

1.1- السلوك العدواني: يعتبر فرويد Freud العدوانية من الغرائز التي تتجه ضدّ الذات (مازوشية) وضدّ العالم الخارجي (سادية)، ويرى ميرفي Murphy العدوان أنّه "استجابة فيها إصرار للتغلّب على العقبات التي تقف في سبيل تحقيق رغبات الأطفال، ومعنى ذلك أنّ الأطفال لا يأتون السلوك العدواني من أجل العدوان ذاته" (العيسوي، 2005، صفحة 35). وينظر سكوت Scott إلى العدوان "كأية استجابة أخرى، سلوك متعلّم أو مكتسب، فالطفل قد يتعلّم الاستجابة للمواقف

التي تواجهها بالعراك أو عدم العراك، فالبيئة السعيدة والمسالمة سوف تخلق طفلاً عنده عادات مسالمة في علاقته بالناس الآخرين، لأن مثل هذه البيئة تُخفض الدافع العدواني عند أقل مستوى" (العيسوي، 2005، صفحة 36). ويرى باندورا Bandura أن العدوان "سلوك يهدف إلى إحداث نتائج تخريرية مكروهة، أو السيطرة من خلال القوة الجسدية أو اللفظية على الآخرين، وينتج عنه إيذاء شخص أو تحطيم الممتلكات" (عبد المعطي، 2001، صفحة 444). أمّا فيشباخ Feshbach فاعتبر السلوك العدواني "كل سلوك ينتج عنه إيذاء لشخص آخر أو إتلافه لشيء ما، ويميّز بين الأفعال المقصودة أو الصدفية، وتؤدي إلى إتلاف الأشياء أو إيذاء الآخرين ولهذا يعتقد أن السلوك العدواني ينطوي على شيء من القصد والنية" (عمارة، 2008، صفحة 10). إن العدوانية نزعة تدميرية ضد اجتماعية، و"سلوك عمدي بقصد إيذاء الغير أو إضرار الآخرين، ويأخذ صوراً وأشكالاً متعددة منها العدوان البدني واللفظي" (العقاد، 2001، صفحة 99). والعدوانية سلوك يمكن تحديده وملاحظته وقياسه، "وهو يعبر عن انحراف الفرد عن المعايير الجماعية، مما يترتب عليه إلحاق الأذى والضرر البدني والنفسي والمادي بالآخرين، وقد يتجه هذا السلوك إلى إلحاق الأذى بالفرد نفسه" (عمارة، 2008، صفحة 18). وقد اجمع الباحثون على أن العدوان أبرز الاستجابات في حال الإحباط، رغم أنها محددة الاستجابة ومكتسبة وليست فطرية أو تلقائية، ويتجه العدوان عادةً نحو مصدر الإحباط، لإزالة المصدر أو التغلب عليه، أو رد فعل انفعالي للضيق والتوتر المصاحب للإحباط. ولكنّ "العدوان لا يوجّه دائماً إلى مصدر الإحباط، فقد يكون هذا المصدر قوياً أو مركز لا يستطيع معه الفرد توجيه العدوان إليه مباشرة، وفي هذه الحالة فإنّ العدوان يُزاح إلى مصدر آخر يمكن للفرد أن يعبر عن عدوانيته تجاهه، وهو في مأمن" (كفاي، 1990، صفحة 324). فالعدوان سلوك مخالف للأخلاقيات والأعراف السائدة في المجتمع، لأنه يشكّل تهديداً وضراً للمحيط الاجتماعي، "فهو السلوك الموجه ضد الآخرين، والذي يُقصد منه الإيذاء للذات أو الآخرين أو الممتلكات بشكل مباشر أو غير مباشر" (الزعيبي، 2005، صفحة 150). ويرى شنايدر Schneider أن العدوان قوة دافعة موروثية، حيث يربط غريزة العدوانية بحاجة الإنسان إلى التملك والسيطرة، حيث يعتدي لإشباع حاجته الفطرية للتملك والدفاع عن ممتلكاته، فعندما يشعر بتهديد خارجي لنفسه أو ممتلكاته تتنبّه غريزته العدوانية، فيغضب ويثور ويختلّ توازنه الداخلي ويتأهب للعدوان لأية إثارة خارجية. وقد يعتدي بدون إثارة خارجية، ليفوّغ طاقته العدوانية ويخفف توتره النفسي ويُعيد توازنه الداخلي. "فلا يتوقّف إلحاح غريزة العدوان حتى يتمّ تصريف طاقتها في عدوان مباشر على مصدر التهديد والإثارة، أو عدوان بديل إذا تعذّر الاعتداء على مصدر العدوان والإثارة، فعندما يُمنع الإنسان من العدوان لا يهدأ، ويستمرّ توتره، حتى يتمّ تصريف طاقته ويفرغها، إما بالاعتداء على مصدر بديل أو في نشاطات رياضية عنيفة"

(موسى، 1992، صفحة 30). وقد لاحظنا تطابق هذه النظريات على السلوك العدواني للأطفال الأيتام في مركز رعاية اليتيم - صيدا، حيث يبرز لديهم سلوك عدواني تجاه الآخرين، ورغبة بالسيطرة، وإلحاق الأذى والخراب بمقتنيات المؤسسة، فضلاً عن شدة وسرعة الانفعال لديهم، وعدم توازنهم النفسي، وأحياناً يرتد العدوان على الذات فيقوم بعضهم بتشتيت وتجريح أجسادهم بآلات حادة.

2.1- أسباب العدوانية: تتعدد الأسباب التي تقف وراء العدوانية بتعدد المجالات المتعلقة بها، فلا يمكن حصرها بسبب واحد، بل هناك العديد من الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية التي ترتبط بهذه الظاهرة النفسية الاجتماعية.

1.2.1- الأسباب الوراثية الفسيولوجية: إنّ النشاط الزائد في إفرازات الغدة الدرقية أو الغدة النخامية قد يزيد من العدوانية عند الفرد، نتيجة تراكم النشاط الزائد. كما أثبتت البحوث الجينية احتمال ظهور كروموزم يتسبب بالسلوك العنيف لدى الشخص، فيتسم سلوكه بالقسوة والعنف والعدوانية. كذلك أظهرت الأدلة العلمية الحديثة أنّ الوراثة تلعب دوراً هاماً في ظهور الفروقات الفردية للسلوك العدواني عند الأشخاص، فالتوائم الصنوية من نفس الجنس يتشابهون في عدوانيتهم وسلوكهم وردّات فعلهم أكثر من التوائم الأخوية. "فالعوامل الوراثية تلعب دوراً في نمو السلوك العدواني وتحديد مظهره" (المصري، 2007، صفحة 73). أضف إلى ذلك وجود "أسباب جسمية فيزيقية كعدم الراحة الجسمية أو الحدّ من نشاط الطفل وحركته، وتوتر في الجهاز العصبي للطفل، تعزّز السلوك العدواني" (حسين، 2016، صفحة 112). ويصدر السلوك العدواني أيضاً عن الأشخاص الذين يتميزون بإفراط أو ضعف في السيطرة على دوافعهم عند تعرّضهم للمواقف الصعبة، فيصدر عنهم السلوك العنيف. وهناك أسباب أخرى: كاضطراب وظيفة الدماغ وازدياد نشاطه الكهربائي، وتوتر الجهاز العصبي السمبثاوي، والاختلالات الهرمونية وتحديداً زيادة الأدرينالين والتسترون. كما إنّ "القوة العضلية والبناء الجسماني العضلي يساعدان على ظهور السلوك العدواني، مما ينتج عنه الضبط الداخلي" (آل رشود، 2006، صفحة 27). وبناءً عليه تشكّل العوامل الوراثية والفسيولوجية أحد أسباب السلوك العدواني، ولكن لا يمكن توضيح هذا العامل لدى الطفل اليتيم بسبب موت أحد الوالدين أو كليهما.

2.2.1- الأسباب النفسية: ركّزت مدرسة التحليل النفسي على المنشأ النفسي الغرائزي للعدوانية، واحصت العديد من الأسباب التي تساهم في بلورة السلوك العدواني، أهمّها اضطراب العلاقة مع الأم أو قسوتها أو غيابها، مما يؤدّي إلى نقص في المركّب العاطفي والإحساس بالنبذ والتمهيش. كما إنّ قسوة الأب أو غيابه أو سيطرة شخصية الأم على حساب تغييب دور الأب تساهم في تكوين السلوك العدواني لدى الطفل. وكذلك رغبة الطفل في إثبات الذات وتحقيقها عن طريق العدوان

على الآخرين، والشعور بالتعاسة والإحباط والتعبير عن الرفض الداخلي، واضطراب المزاج والشعور بالاكتئاب ومشاعر الذنب وما يستتبعها من حاجة لاشعورية إلى العقاب. كما إنَّ "الفشل وعدم التوفيق بين إشباع مطالب الهو والأنا الأعلى يُنتج الانغماس في اللذة وتجاهل مبدأ الواقع" (آل رشود، 2006، صفحة 34). كذلك إحساس الفرد بالدونية والنقص يرتبط بالعدوانية، خاصة عندما يتعلّق الأمر بمفهوم الذات، وذلك "عن طريق الصورة الكلية التي يكوّنها الفرد عن ذاته، وتتكوّن نتيجة التفاعل مع البيئة" (عريشي، 2004، صفحة 32). وعندما يفشل الفرد في الحصول على مراده وتحقيق أهدافه يُصاب بالإحباط، مما يولّد لديه طاقة تدفعه إلى الاعتداء على العوائل والحواجز، فيقوم بسلوكه العدواني كردّ فعل إزاء الإحباط.

3.2.1- الأسباب الأسرية: تلعب التنشئة الوالدية دورًا رئيسيًا في تكوين شخصية الطفل وسلوكه، فأنماط التربية الاجتماعية السلبية تشكّل سببًا في ظهور السلوك العدواني. فالتسلّط من قبل الوالدين على الطفل يكبح رغباته ويمنعه من تحقيق آماله مما يكرّس لديه سلوكًا عدوانيًا، وقد يتمثّل الطفل بأبيه القاسي وفق آلية التماهي بالمتسلّط، أو بطريق النمذجة ويتحوّل إلى طفل عدائي. كما إنَّ الحماية الزائدة للطفل والتساهل المفرط معه قد يجعل منه عدوانيًا، إضافةً إلى الإهمال الأسري وعدم رعاية الطفل وتعرضه لضروب الحرمان يكرّس لديه مشاعر النبذ والتمهيش فيقوم برذات فعل عدوانية. وكذلك التدليل الزائد وعدم توجيه الطفل واللامسؤولية وعدم وضع القوانين والحدود والإطار المرجعي له يشجعه على العناد والتصرّف بعدوانية من دون تقدير المواقف. كما إنَّ القسوة في معاملة الأبناء والعقاب البدني واللفظي، هذا الأسلوب الصارم يضع الطفل في موقع المحاسبة الدائمة وعدم الاستقرار، حيث "تؤدي تلك القسوة إلى نشوء شخصية متمردة تنزع إلى الخروج على قواعد السلوك المتعارف عليه كوسيلة للتنفيس والتعويض، مما تعرّضت له من ضروب القسوة، وعلى هذا فإنّ هذه الشخصية ينتج عنها السلوك العدواني" (آل رشود، 2006، صفحة 27). وكذلك التفكّك الأسري والمشاحنات بين الوالدين ومشاكل الطلاق تؤدي إلى اضطراب في شخصية الطفل، ويظهر لديه السلوك العدواني. كما إنَّ اليتيم أو غياب أحد الوالدين أو كليهما يجعل الطفل يعاني من الحرمان وعدم الشعور بالأمان، فيتصوّر البيئة قاسية عنيفة ويشبّ عدوانيًا. "وعندما يتعرّض الطفل للعدوان داخل الأسرة أو في المدرسة أو المجتمع، أو من الأب، يتبنّى القيم التي يعتنقها الأب ويقلّد سلوكه، فكلّما كان الأب أكثر عدوانية كان الطفل كذلك" (الهمشري وعبد الجواد، 2000، صفحة 27). فالأسرة هي مصنع شخصية الفرد، وهي التي تحدّد مساره عبر السوء أو الانحراف من خلال العملية التربوية والتنشئة الأسرية. وتجدر الإشارة إلى أنّ اليتيم يشعر بالإهمال من قبل ذويه بسبب وضعه في مؤسسة رعائية، مما يزيد رذات فعله العدوانية، فهو يحمل في عدائته الشعور بالنبذ والإهمال والرفض من قبل الأهل والأقارب.

4.2.1 - الأسباب الاجتماعية والاقتصادية: تشكّل الظروف الاجتماعية سبباً رئيسياً في ظهور العدوانية في سلوك الطفل، خاصة إذا نشأ في بيئة إجتماعية بائسة يسودها الجهل وعدم الوعي، فالإنسان وليد بيئته وابن ثقافة المحيط الذي ينتمي إليه. كما تلعب الظروف الاقتصادية دوراً كبيراً في تكوين الاتجاه العدواني لدى الطفل، خاصة إذا ترعرع في بيئة فقيرة يشوبها الحرمان والحاجة والعوز. فالسلوك العدواني يختلف باختلاف المستويين الاجتماعي والاقتصادي، وهذا ما أكّده الدراسات كدراسة ماكوبي وليفينغ Maccoby and Leving، "فالأطفال العدوانيين ينحدرون غالباً من أسر الطبقات الدنيا" (عريشي، 2004، صفحة 30). وتتعدّد النواحي الاجتماعية الاقتصادية المؤدية إلى ظهور العدوانية لدى الأطفال: كغياب العدالة في توزيع الدخل والمكاسب، الظلم والقهر الاجتماعي وعدم الحرية، التعرّض للكوارث والصدمات مثل الحروب والتهجير والنزوح، زيادة نسبة الطالة وعدم توقّر فرص العمل، انخفاض المستوى المادي وتجهيف مصادر الدخل المناسب، جرائم الاعتداء البدني واللفظي والتحرّش الجنسي، الإدمان على الكحول والمخدرات، كثرة الضغوط الاجتماعية ومتطلبات الحياة واحتياجاتها، التعصّب والانصياع والإذعان والصراعات. هذه الظروف تولّد إحباطاً لدى الطفل الناشئ فيها، وبالتالي يسبّب الإحباط تصرّفات عدوانية وأفعالاً عدائية وسلوكاً عنيفاً لدى الفرد. "فالإحباط هو السبب المباشر الذي يسبق الفعل العدواني" (يحيى، 2000، صفحة 189)، وغالباً ما ينتج الإحباط عن عدم تلبية الرغبات وإشباع الحاجات بفعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاهرة. وهذا ما يحدث للأطفال الأيتام في المؤسسة الرعاية التي يجري فيها البحث، حيث ترتفع لديهم نسبة الإحباط بسبب عدم قدرتهم على تلبية رغباتهم وحاجاتهم بشكل كافٍ ومُشبع، مما يكرّس لديهم العدوانية في سلوكهم، كردّ فعل لإثبات ذواتهم.

3.1- مظاهر العدوانية: إنّ سلامة الشخصية لدى الطفل صورة متكاملة وتامة عن الوجود الذهني والاجتماعي والجسدي، وليست مجرد انعدام الاضطرابات. هي حالة من التوافق والانسجام بين وظائف الشخصية، يتحقّق معها التلاؤم والتكيّف مع البيئة والعالم الخارجي، مما يكرّس السلوك السوي للطفل، حيث يدفع انطلاقته في الحياة وفق ضبط المشاعر والانفعالات، والحفاظ على الحالة المزاجية، والتبصّر والتقييم الواقعيين للأمور. فسواء الشخصية يؤمّن للطفل الراحة والكفاية، ويوفّر له تقدير الذات، والشعور بالهوية الفردية، وإدراك الواقع بصورة سليمة. وذلك بدءاً من تكامل المقوّمات والتيقّظ والمهارة، وصولاً إلى الذاتية والاستقلالية والسلوك الموجه والهادف، وانتهاءً بتحقيق إمكانات الأنا وإثبات الذات، مع مراعاة متطلبات وضوابط العالم الخارجي (المجتمع) والتنسيق مع ديناميات العالم الداخلي (النفس). لذلك إذا فقدت الشخصية بعضاً من هذه الميزات، فإنها تصبح مضطربة وليست بالضرورة منحرفة. فالعداؤون في الشخصية

يقتضي إصابتها بمشكلات معينة، تحدد بوضوح مسارها المنحرف عدائياً. من هنا "تختلف محدّدات السوء في الشخصية، وهناك خصائص وصفات يمكن اعتبارها مؤشراً على سوء وسلامة الشخصية، وعلامة جيّدة على التكامل والنضج النفسي والتوافق الاجتماعي" (إبراهيم، 2005، صفحة 30). وهناك بالتالي خصائص وميزات تحدد العدوانية في الشخصية، نوجزها في الآتي:

- 1- عدم مقدرة الطفل العدواني على إمساك زمام الانفعالات وضبط المشاعر السلبية كالكرة والحقد والغيرة... وضعف التحكم بتقلّبات المزاج.
- 2- عدم الإحساس الإيجابي بالهوية الذاتية، ومشكلة تقبّل الذات.
- 3- الإنخراط في الجماعات المنحرفة وصحبة رفاق السوء، والتهوّر النفسي والاجتماعي.
- 4- العجز عن مقاومة الضغوطات النفسية والبيئية، وعدم الليونة في التعامل معها.
- 5- عدم التوازن مع الآخرين، والقصور عن التكيف في العمل أو المدرسة، وقلة الفاعلية في اتخاذ القرارات وتحديد الأهداف.
- 6- الشعور الدائم بالمهانة والنبذ والتمهيش، والإحساس بالقصور والنقص إزاء الوضعية الوجودية لموقعية الطفل داخل الأسرة والمجتمع.
- 7- النرجسية والأنانية والنزعات العنيفة، والعدوانية الصارخة التي تفرزها شخصية المراهق في شتى المجالات.
- 8- التمرد على الأنظمة والتقاليد، وعدم الامتثال للقوانين الاجتماعية، ورفض المعايير والقيم والانقلاب عليها.
- 9- التبعية السلبية لزمرة الانحراف أي العصاة، والانسجام التام مع الجماعات المنحرفة، والتعلّق بعناصر ومسيبات الانحراف.
- 10- الاتجاه السادومازوشي في شخصية الطفل المنحرف، حيث يوجّه عدوانه على موضوعات خارجية وداخلية.
- 11- الشعور بالذنب وتبكيّت الضمير والحاجة الملّحة إلى العقاب، وهي مشاعر تميّز الشخصية المنحرفة.
- 12- نزوع الشخصية الجانحة إلى التماهي بالمتسلّط والتنمذج بالمعتدي، فتدفع صاحبها إلى احتقار كل سلطة وفرض القهر والغبن على من هم أضعف، لنقل النموذج التسلطي باتجاه معاكس.
- 13- عدم القدرة على إطلاق الأحكام، والعجز عن التقييم والتوليف والاستدلال، وضحالة التفكير وبطلان الرأي، ومقاربة خاطئة للأمور تجعل الطفل العدواني "متكيفاً على الواقع" دون أن يكون "متكيفاً مع الواقع".

ونظراً إلى ما تقدّم حول مظاهر وخصائص وميّزات العدوانية، يمكن تصنيف السلوكيات العدوانية للأطفال الأيتام في مركز رعاية اليتيم – صيدا ضمن الفئات السلوكية العدائية التالية:

- العدوانية اللفظية: سُباب، شتائم، ألفاظ سيئة، تهديد بالكلام، سخرية.
- الاعتداءات الجسدية: حيث يقومون بضرب بعضهم البعض جدياً، أو تقليد أبطال المصارعة أثناء اللعب.

- التخريب: يظهر لديهم سلوك تدميري حيث يُلحقون الأذى بمقتنيات المركز، ويحطمون الكراسي والطاولات وصنابير المياه.

- العدوانية الذاتية: وهي العدوانية المرتدة نحو الذات، حيث يقومون بتجريح أنفسهم، أو اللعب بطريقة مؤذية يعرضون أنفسهم خلالها للخطر، وهي من السلوكيات الإنتحارية.

- الانحرافات السلوكية: الكذب، السرقة، الكلام الجنسي، محاولات الهرب من المركز، التدخين.

4.1 - أشكال السلوك لدى الطفل العدواني وغاياته: يتميز الطفل العدواني بمجموعة من المقوّمات المشوّهة والتصرّفات الشاذة، التي تطبع سلوكه بالعدوان. وهي حصيلة سوء استخدام السلطة الوالدية، أو غيابها، ونتاج للأساليب الخاطئة في التربية. ومن خلال المسالك المتوتيرة، يحاول الطفل العدواني أن يؤكّد ذاته ولو بصورة مشوّهة، ويسعى بها إلى تحقيق المخطط الوهمي الخاطئ الذي صاغه حول نفسه وشخصيته. فالسلوك المنحرف لدى الطفل هو ظاهرة نفس-اجتماعية، تتكوّن عبر مسار زمني طويل له صفة تراكمية، أي منذ طفولته وحتى مرحلة المراهقة والرشد، ويستمرّ هذا السلوك معه طيلة حياته إذا لم يتمّ التدخل العلاجي لحلّ أزمته الوجودية. ومن أبرز المسلكيات الاضطرابية لدى الطفل العدائي، هي التالية: 1- ترك المنزل: إن سوء التوافق الأسري في البيت يدفع الطفل إلى الهرب من مسكنه مع الأهل، وذلك بسبب الصراعات الأوديوية والمشاحنات بين الأب والطفل. "فالأهل يحاولون السيطرة على الأبناء ونزواتهم العاطفية، والأبناء يحاولون الخروج من هذه السلطة النرجسية القاتلة" (حطب ومكي، 1980، صفحة 110). فالطفل يهجر البيت ليتخلّص من تسلّط الأب وتعنيفه، ولكي يبحث عن موضوعات عاطفية للتوظيف. خاصة وأنّ المنزل صار بالنسبة إليه قاحلاً ومجذباً على المستوى العاطفي، ومصدر تهديد ووعيد بسبب الإفراط في القسوة الأبوية. فيلجأ المراهق إلى الشارع، لعلّه يكون طريق الخلاص بالنسبة إليه.

2- التأخر المدرسي والهرب من المدرسة:

ينقل الطفل العدواني أزمته الصراعية من المنزل إلى المدرسة، باعتبارها ميداناً نسقياً يمثّل نسقاً شبيهاً بنظمة الأسرة. وتصبح سلطة المعلم رديفاً رمزياً لسلطة الأب، حيث توجي للطفل - من خلال حزمها وجديتها- بأنها شكل من أشكال القمع الأبوي. لذلك يثور الطفل على سلطة المعلم ويدخل

معه في مشاحنات ومسلكتيات ملتوية، ويبدأ برفض تلقي التعليم بسبب اضطراب العلاقة مع الأهل، لأن تمثيل المعلومات واستيعابها هو فعل مماثل لمفهوم "التلقي والابتلاع" المتعلق بغذاء الأم، ولكونه يناظر مبدأ الامتثال لقوانين الأب. هذا الأخير يدفع للطفل إلى التصرف العدواني عن طريق ممارسة سلطته، لأنه يرى المعلم يقوم بدور سلطة القمع المدرسي على نمط دور الأب وشاكلته، في إطار عملية نقل هوامية.

3- الانضواء في الجماعة المنحرفة:

عندما يستشعر الطفل قلقاً واضطراباً داخل الأسرة بفعل تسلط الأب، فإنه يسعى إلى البحث عن الأمان والاستقرار الذي فقده من مرجعيته الأسرية. لذا ينخرط في الزمر المنحرفة، ويجد في صحبة رفاق السوء متنقساً طبيعياً ومنصرفاً للتعبير عن آرائه ورغباته. فالجماعة المنحرفة تؤمن للطفل الشعور بالأمان والحماية والاطمئنان، من حيث إنها "مجموع إنساني له بنيان معين، بحيث تتبادل عناصره التأثير" (فياض، 2001، صفحة 37). فتظهر لدى الطفل المنحرف علائم الولاء والتبعية للجماعة المنحرفة، حيث تمده بالقوة وبأسباب وجوده. "وإذا كانت مجموعة الأقران متفاهمة، فهي قوة لها حسابها" (الحفني، 2000، صفحة 110). فالجماعة هي أم رمزية وهي كذلك تحمل دلالة فموية، إنها "الحقيقة الغذائية الأولية... حيث تكون الجماعة في كنهها أنثوية وأمومية... يتعلق الأمر هنا بدفاع من نمط هستيري، حيث يدور هوام الرحم أو الحضن الأمومي في المجازات الجماعية... وظرف الجماعة هو في الغالب بالنسبة إلى أفرادها، المرأة التي تعكس لهم صورة هذا الهوام الطفولي" (أنزيو، 1990، صفحة 87). لذلك ينضوي الطفل العدواني في جماعة السوء، لتخفيف القلق الوجودي وتأمين الشعور بالانتماء وليحافظ على وحدته الحيوية.

4- لسرقة:

يلجأ الطفل العدواني إلى السرقة لحاجة أو لغير حاجة، وعندما يسلب أشياء من الآخرين فهو يحاول أن يأخذ عنوة ما حُرّم منه، أي على المستوى الرمزي يحاول الاستحواذ على ما منعه عنه الأب المتسلط. "والجانح إذ يسرق، وخاصة إذا لم تكن به حاجة إلى السرقة، يعطيه هذا الفعل لذة وتهيجاً جنسياً، حتى إنه قد يتوجه الجانح عقب السرقة إلى البغايا والملاهي الليلية، أو يسلم نفسه لتعاطي المخدرات والكحول. فتزداد لديه أفعال السرقة لتأمين ما تتطلبه رغباته من أموال" (الحفني، 2000، صفحة 176). فالسرقة فعل اغتصاب لممتلكات الآخرين، واستغفال لأصحاب المحلات، وهي محاولة رمزية لاغتصاب دور الأب واستغفال سلطته. يسلك الطفل العدواني هذا المسلك لإثبات الذات وتوكيدها، ومحاولة رامية إلى إشباع الرغبات في حالة من السيطرة على الواقع.

5- إشعال الحرائق والتخريب: من المسلكيات الغريبة لدى الطفل العدواني هي رغبته في إشعال الحرائق، فإضرار النار نزوع لا يُقاوم وشكل من أشكال الحواز، يرجع في المحل الأول لطبيعة سادية وميول عدوانية وانفعالات تجيش بالكراهية، تدفع بالمراهق إلى تدمير الملكية الخاصة أو العامة. وهو يقوم بذلك "إما تعبيراً عما في نفسه من مشاعر، أو تحدياً للسلطة أو الشرطة أو القوى الاجتماعية الكبرى، والتي ترمز عنده لاشعورياً إلى سلطة الأب" (الحفني، 2000، صفحة 723). وغالباً ما يكون الطفل - في هذه الحال - منحرفاً يحفل تاريخه بالهروب من البيت والمدرسة، وكثيراً ما يكون أمثال هؤلاء الأطفال محرومين عاطفياً، ينحدرون من عائلات مفككة، تكون فيها سلطة الأب عنيفة ومهيمنة أو غائبة. ولا تخفى العلاقة بين التبول والنار، حيث يلجأ المراهق إلى إطفاء النيران ببوله، وهو بذلك يقوم بعملية محاكاة لفعل جنسي.

6- الميوعة الأخلاقية: يتميز الطفل العدواني بالانحلال الأخلاقي، حيث يستخدم أبشع مفردات السباب والشتائم بحق الآخرين. وهو بهذا السلوك يحاول على المستوى اللاشعوري أن يشتم الأب، ويقوم بتحقيبه وازدراء دوره وسلطته. أو ينقل النموذج الأبوي في التعامل مع الغير، حيث يكون الأب قد استخدم معه سابقاً أسلوب الشتائم والسباب. كما يستخدم الطفل العدواني أقذع الأوصاف والنعوت عندما يتحدث عن الناس.

7- الكذب: يتميز سلوك الطفل العدواني بالادعاءات والأكاذيب، فقد تعلّم الكذب من مثاله الأعلى العنيف والكاذب، أو لأنه كان يضطر إلى الكذب ليتفادى محاسبة الأب القاسي له أو حماية نفسه من المجتمع. ويكذب الطفل للهروب من المسؤولية وتفادي العقاب والتخلص من اللوم والنقد. وعلى المستوى الرمزي يُعتبر الكذب عملية إرادية ذات محرّكات لاشعورية، تهدف إلى تجنب قلق الخصاء عبر التحايل والمواربة. وغالباً ما يقوم الطفل العدواني بالافتراء كذباً على الآخرين، أو يقترب فعلاً تخريبياً ويتهّم إخوته أو رفاقه في المدرسة أو أولاد الجيران ليعفي نفسه من مواجهة القصص، أو ليشبع رغبته في إلحاق الأذى بالآخرين وتحميلهم مسؤولية أخطائه وأفعاله السيئة.

8- السادية والمازوشية: لا يخلو كلّ سلوك عدواني من السادية والمازوشية، فهو سلوك سادو-مازوشي، حيث سمّاه "فرويد" الغريزة المتزاوجة. السادية ظاهرة وواضحة، والمازوشية باطنية ومتخفية. فالسادية هي جزء من السلوك العام المتسم بالقسوة، الذي يأتيه الطفل العدواني كلما كانت له معاملات بالآخرين. وهو يشعر مع هؤلاء الآخرين بالإحباط ويحسّ في صحبتهم بالوحدة والنبذ، ويسعى بالسلوك العدواني التدميري إلى أن يعوّض عن ذلك بالشعور بأنه قوي ومهم وأن يثأر لنفسه من العالم الذي يسيء إليه كما يعتقد. ويوسّع التحليل النفسي فكرة السادية إلى ما وراء حدود الشذوذ الذي وصفه علماء الجنس، وذلك من خلال الاعتراف بالعديد من مظاهرها الأكثر خفاءً، وخصوصاً الطفلية منها، ومن خلال اعتبارها واحدة من المكونات الأساسية للحياة

النزوية. وترتبط السادية بالمركب الأوديبي لدى الطفل العدواني، "حيث يكون مصدر السلوك السادي ما يُسمى بقلق الخصاء، وقد يفتعل السادي القسوة ليخفي خوفه من الخصاء" (الحفني، 2000، صفحة 528). كما ترتبط السادية بالمركب العدواني وغريزة التدمير، حيث "تكون أحياناً إخراجاً لغريزة الموت أو تحقيق الميول التدميرية" (الحفني، 2000، صفحة 529)، فسادية الهو تطلق العنان للممارسات الغريزية التدميرية الأولية المتعلقة بالدوافع والرغبات الجنسية، والتي واجهت الإحباط ولم تجد الإشباع. ويعتبر "فرويد" أن المازوشية ثانوية بالنسبة للسادية، حيث "يتحوّل السادي إلى المازوشية في مرحلة من حياته بتأثير مشاعر الذنب التي تتراكم عنده، كردّ فعل للأذى الذي ينزله بالناس فيعاقب نفسه على ما اقترف، وعقابه لنفسه على أي وجه - ولو كان مجرد لومٍ يوجّهه إلى نفسه- هو مازوشية" (الحفني، 2000، صفحة 538). والمازوشية يعيشها الطفل على شكل مشاعر ذنب اجترارية ومكتررة، وهذا التأنيب أو تبكيت الضمير يسمح للمراهق الجانح بمتابعة انحرافه. حيث يتوهم الأنا الأعلى الضعيف لديه أنه حقّق وظيفته وإرادته، فيرتضي بهذا الإشباع الوهمي المتأتّي من الشعور بالإثم. وتجدر الإشارة إلى أنّ المازوشية تتعلق بدينامية الأنا الأعلى عند المراهق، في حين ترتبط السادية بنشاط الهو.

9- الإدمان: يعتاد الطفل العدواني - بدايةً - تعاطي التدخين ومعاقرة الخمر، متدرّجاً في سلّم الإدمان قبل أن يصل إلى المخدرات إذا تهيأت له الظروف. وهو يستخدم التدخين كأشباع بديل لحاجات إنفعالية شتّى. "وقد تكون حركات يديه وامتصاصه الدخان ونفثه واشتراك الشفتين والأسنان في عملية التدخين، كلها منصرفات لميول عدوانية وبدائل عن رغبات في التودّد والتقرّب من الآخرين" (الحفني، 2000، صفحة 813). ويلجأ الطفل إلى التدخين وشرب الكحول نتيجة إحساسه "بالطوى"؛ أي الجوع العاطفي ليحقق بهما إشباعاً جزئياً بديلاً ورمزياً. فالسيجارة هنا تحلّ محلّ ثدي الأم، والكحول محلّ حليبها. لذا يدمن الطفل العدواني على التدخين والكحول كدلالة لتثبيته على المرحلة الفموية، ويفشل في الإقلاع عنهما لأن ذلك يفجّر فيه قلق الانفصال عن الثدي وقلق الهجر. لذلك يجد الطفل العدواني في هذا النوع من الإدمان وسيلة لتهدئة قلقه الوجودي الحادّ، ولتأمين نوعاً من الاستقرار الموهوم والتوازن الخادع، ولإثبات ذكوريته ولتوكيد ذاته عبر ممارسة التدخين وتعاطي الكحول باعتبارهما من أفعال الرجولة والشخصية المستقلة.

10- سرعة الانفعال والغضب: أضف إلى كل ما تقدّم أن سلوك الطفل العدواني يتّسم بسرعة الانفعال، كالغضب والعدوان. فهو قريب من السلوك "السيكوباتي" من حيث أنّه يتميّز بسرعة القرار الطائش والتقلّب المزاجي المستمرّ وعدم الشعور بالمسؤولية وعدم احترام القوانين أو الامتثال للواجب. إنّه لا يهتمّ بالعقاب، ويتصرّف بعدم نضج وقلة الاستبصار والوعي لما يقوم به، وهو دائم الاضطراب. وكذلك لا يكتنّ احتراماً أو تقديرًا لأهله وللغير ومكانتهم الاجتماعية، ويعجز

عن التفاهم مع الآخرين. فالأنا الأعلى لديه لا يشكّل مثلاً للواقعية الخلقية، وذلك باعتبار أنّ صورة الأب عنده مشوّهة أو غائبة، فهو يراه رجلاً خاصياً وأباً ساقطاً: (*père castrateur-père*) (*déchu*). أو أباً مهملاً مقصّراً تخلى عنه. لذا يقوم الطفل العدواني بإسقاط مشاعر الكراهية والعدوانية التي يشعر بها تجاه والده، على كل شخص يمثل صورة هذا الأب.

2- النظريات المفسرة للسلوك العدواني:

1.2- نظريات التحليل النفسي: تُعتبر نظريات التحليل النفسي حجر الزاوية لتفسير العدوانية السلوكية، والركن الأساسي لفهم المظاهر المنحرفة في سلوك الأطفال. فهي تقدّم تفسيرات وتأويلات عميقة ومعقدة لهذه الظاهرة المرضية الاضطرابية. وتجدر الإشارة إلى أنّ نظريات التحليل النفسي حول السلوك العدواني لم تكن نهائية وجامدة، بل شهدت تطوراً طويلاً مرّ بمراحل عدّة من خلال إسهام الكثير من المحلّلين النفسيين، اللذين درسوا جماعات من العدوانيين. وفي كل مرحلة كانت تُعطى الأولوية في التفسير لمنظور معيّن يتعدّل ويتغيّر فيما بعد. ذلك ما أثيرى نظريات التحليل النفسي، ومنحه طابع التجديد والشمولية والموسوعية في دراسته للعدوان المسلّكي.

1.1.2- فرويد: حينما نتحدث عن التحليل النفسي في تفسير العدوانية السلوكية عند الأطفال، ينبغي أن ننطلق من العقدة المركزية الحتمية: عقدة أوديب. فهي السيرورة المنظّمة من رغبات الحب والعداء التي يشعر بها الطفل الذكر تجاه والديه، حيث تنجم عن مفاعيل الرغبة المحرّمة والنوازي الجنسية تجاه الأم، وما يرافقها من كراهية وحقد تجاه الأب، وكذلك مشاعر الذنب وتبكيّت الضمير. فالصبي ينظر إلى والده على أنه غريم له ومنافس قوي كيلي القدرة على حب الأم. "ومتى وقع نظر الصبي لأول مرّة على المنطقة التناسلية للبنات الصغيرة، تصرّف من لم يثبت عند رأي... وحينما يقع تحت التأثير اللاحق لتهديد الخصاء، تغدو تلك الملاحظة حافلة بالمعنى بالنسبة إليه: فإذا استعادها في ذاكرته أو كرّرها، وقع فريسة عاصفة إنفعالية عنيفة" (فرويد، 1999، صفحة 178). "ويعرف من ثم خوف الخصاء الذي يغدو مذاك أقوى محرّك لتطوّره اللاحق" (فرويد، 1998، صفحة 148). في الحالة الطبيعية يعتبر "فرويد" أنّ على الصبي أن يتخلّى عن رغبته تجاه الأم ويوظّف الليبيدو الخاص به في موضوع خارجي، عبر الاختيار الموضوعاني للحب، ثمّ يقوم بتصفية عقدة أوديب وتشظيبتها، مما يسمح له بالتماهي السليم مع الأب، قبل أن يسجّل مرحلة الكمون. أما اليتيم فيكون لديه مأزم أوديبي متوجّه نحو المرّبين باعتبارهم بدائل الأهل، وعدم التعامل بشكل سليم مع تلك العقدة يجذّرها ويجعل سلوكه عدوانياً. ومن الطبيعي أن لا تمرّ الدينامية الأوديبيّة للطفل اليتيم في مراحلها الطبيعية بسبب غياب الوالدين أو أحدهما، فالاضطراب في المركّب الأوديبي للطفل اليتيم يكرّس العدوانية في سلوكه.

2.1.2- يونغ: في المقابل يطالعنا "كارل يونغ" بتفسير ملفت ومفاجئ للعدوانية عند الطفل، خاصة فيما يتعلق بصورة الأب لديه. ففي كتابه "طفرة ورموز الليبيدو" يصف "يونغ" الصورة الهوامية (Imago) ومدى تأثيرها في نفس الشخص. فالصورة الهوامية هي النموذج اللاواعي للشخصيات الذي يوجّه أسلوب إدراك الشخص للآخرين بشكل إنتقائي. ويرصن هذا النموذج انطلاقاً من العلاقات الواقعية والهوامية الأولى بين الشخص ومحيطه العائلي والاجتماعي. إنها صميمة خيالية مكتسبة، أي نوع من الكليشيه الجامدة، يستهدف الشخص الآخرين من خلالها. ويرى "يونغ" أنّ المرء قد تتجسّد لديه الصورة الهوامية في مشاعر أو تصورات أو صور. وليس شرطاً أن تكون واقعية، بل مضخّمة خاضعة للطريقة التي يتمثّل بها الطفل العالم الخارجي، فإذا كان لديه إدراك مشوّه وتهديدي للواقع سيتحول إلى السلوك العدواني. فالطفل اليتيم لديه تصوّر مشوّه لدار الرعاية الذي يعيش فيه، كأنّ يعتبره سجنًا أو تأديبًا، ممّا يكرّس النزعة العدوانية لديه تجاه المؤسسة والعاملين فيها وزملائه ومحيطه الاجتماعي، وتزداد نغمته على أقاربه بسبب إيداعه في المركز الرعائي.

3.1.2- لاكان: إن العدوانية التي تميّز الانحراف السلوكي لدى الطفل، يفسّرها "لاكان" أيضاً بطابع تحليلي نفسي واجتماعي، باعتبارها ناجمة عن علاقة تسلطية. فهو يعتبر "أنّ السلوك العدواني ناجم عن حوار عنيف بالطبع، ولكنه على كل حال حوار، محاولة للدخول في علاقة مع الآخر.. بذلك فقط يحسّ أنه موجود، وبدونه يجابه خطر العدم واللأوجود" (حجازي، 1975، الصفحات 44-45). وبذلك يرتبط السلوك العدواني عند الطفل - حسب "لاكان" - بالمنظومة الثقافية للوجود الاجتماعي حوله، فإذا نبذه هذا المحيط سوف يشعر باضطراب وجودي خطير. وهكذا تصبح آلية السلوك العدواني رهناً بشرعية الوجود، والاعتراف بكيان الطفل هو مانع هذه الشرعية. "فالعدوان ليس أمراً ذاتياً محضاً، بل هو قبل ذلك أسلوب حركي للدخول في علاقة. وبالتالي لا يمكن فهم العدوانية إلا في إطار علائقي. فالعدوانية مرتبطة بالانرجسية وهي مثلها علاقة سادومازوشية، علاقة سيطرة وخضوع" (حجازي، 1975، صفحة 43). هذا ما يفسّر نزعات الطفل اليتيم العدواني في دار رعاية اليتيم - صيدا الهادفة إلى إلحاق الأذى والتخريب بالموضوعات الخارجية أي السادية، وكذلك حاجته إلى العقاب التأنيب والشعور بالذنب أي المازوشية. كما إنّ معاملة المربّين التي تتسم بعدم التفهّم أحياناً والغضب والقسوة مع الأطفال الأيتام تكرّس حالة من الحوار العنيف الذي يستجيب له الطفل اليتيم بالعنف والعدوان داخل مؤسسة الرعاية.

2.2- النظريات الثقافية الاجتماعية

1.2.2- سيلين: وفي إطار المنحى الثقافي يصدّر العالم الاجتماعي "سيلين" نظرية الصراع الثقافي، لتفسير السلوك العدواني. فهو يرى: أنّ ذلك السلوك هو وليد تعارض معايير الجماعة المحدّدة

التي نشأ فيها الفرد مع معايير المجتمع الكلي. فالفرد غير المتكيف مع المجتمع الكلي هو صنيع انتمائه إلى جماعة غير متكيفة" (حجازي، 1995، الصفحات 334-335). فعندما يكون الطفل منحدر من بيئة تتسم بالعدوانية ستتكوّن لديه شخصية ضد اجتماعية غير متكيفة بشكل سوي مع المجتمع، فإنّ الطفل الذي تلقى أسلوب تربوي غير تكيفي سوف يصطدم ويصارع المجتمع، وينحرف عن الأطر السليمة للمحيط الاجتماعي، حيث يقابله بنزاعاته العدوانية. وهذا ما يحدث مع الطفل اليتيم في دار الرعاية - صيدا، حيث يعاني من إهمال الأقارب والتخلي عنه ووضعه في مركز رعائي، حيث نلاحظ بوضوح عدم تكيفه مع وسطه الاجتماعي ورفضه لقوانين دار الرعاية.

2.2.2- بولي: وفي هذا الإطار التربوي الثقافي يقدم "بولي" تفسيره للسلوك العدواني على أساس العلاقة الأولية مع الأم وتشعب هذه العلاقة إلى الأب والأخوة والآخرين. فمن خلال هذه العلاقات ينبغي على الطفل التخلي عن بعض رغباته، وتأجيل إشباع بعضها الآخر. كما يجب عليه أن يرضى بإنشاء علاقات طيبة مع المنظومة المحيطة به، لكي يصبح فيما بعد مراهقاً اجتماعياً سويّاً، وبالتالي راشداً متوازناً. "فمن اعتبار وجود الآخرين تنشأ أولى بوادر الضمير، ويبدأ الطفل يتعلّم كيف يقوم بدور الضمير لنفسه بنفسه" (حجازي، 2004، صفحة 139). ويضيف "بولي" إلى ذلك وصف العدوانية بسمتين: الأولى أنه يعاني صعوبة خاصة في التفكير المجرد، الذي يُعتبر ضرورة من ضرورات سيطرة الذات والضمير على الواقع. الثانية عجزه عن الخروج من دائرة ذاته والارتباط العاطفي بالآخرين، أو إبداء أي اعتبار أو اهتمام بشيء خارج عن ذاته. وفي حالة اليتيم وغياب المنظم الوالدي يعاني الطفل من اضطراب يتوقع على نفسه ويتمركز حول ذاته، فيعادي المجتمع ويتعامل معه بسلوك عدواني. وهذا السلوك يظهر أحياناً على الأطفال الأيتام في دار الرعاية، صيدا، حيث يميلون في بعض الأوقات إلى العزلة وتفادي التواصل الاجتماعي مع الآخرين ورفض المشاركة واللعب والتفاعل.

3.2.2- هورني / المنظومة الاجتماعية داخل مركز الرعاية: وفيما يتعلّق بمفهوم المنظومة الاجتماعية الثقافية، تأتي نظرية "كارين هورني" لتوضح مسألة السلوك العدواني عند الطفل، بشكل تبادلي بين ذات الطفل والمجتمع أو الآخرين. فأساس ظهور العدوانية حسب "هورني" هو الخوف والقلق الناجمان عن المنظومة البيئية التسلطية، هذا القلق من شأنه أن يهدّد الوحدة الحيوية للطفل، فهو أمام ثلاثة اتجاهات:

- التحرك نحو الآخرين: أي أن يتجه الطفل نحو المجتمع ليكون فعالاً وإيجابياً، حيث يتوقّع أن يكون محبوباً ومقبولاً فيه. وبذلك يتمحور الطفل في منظومته الاجتماعية الثقافية، ويلعب دوراً يرضى عنه، وبالتالي يحقق الثقة والطمأنينة والقدرة على تأكيد الذات، فيتجاوز كل شعور بالقلق.

- التحرك بعيداً عن الآخرين: في هذه الحالة ينسحب الطفل من منظومته الاجتماعية الثقافية، ويتمركز حول ذاته. فينعزل عن المجتمع ويستسلم لحالة من اجترار القلق، فتتشل قدرته على المبادرة وتتركس لديه حالة العجز والشعور بالنقص. كما تتفاقم عنده عقدة الخجل، "وعادة ما يكون إدراك الطفل الخجول لنفسه أسوأ من إدراك وتقييم الآخرين له، فهو يميل إلى التقليل من شأن نفسه" (كروزي، 2009، صفحة 87).

- التحرك ضد الآخرين: يحمل هذا التحرك العدوانية تجاه المجتمع والرغبات التدميرية، حيث يسعى الطفل من خلال هذا الاتجاه الى إثبات ذاته والانتصار على حالة القلق المتأنية من تسلط المنظومة البيئية المحيطة به، وبذلك يصبح الطفل ذا شخصية عدائية ضد اجتماعية.

ونلاحظ لدى اليتيم في مركز دار الرعاية – صيدا اتجاه التحرك ضد الآخرين، حيث يوجّه عدوانيته نحو البيئة الاجتماعية المحيطة به، نتيجة شعوره بالقلق وعدم الاستقرار والتمهيش..

3.2 - المظاهر السلوكية الاستجابية:

1.3.2- واطسن: تتوافق المدرسة السلوكية في تفسيرها للسلوك العدواني مع مفهوم المنظومة الاجتماعية التربوية، بحيث تعتبر هذه المدرسة أن السلوك العدواني يصدر عن طبيعة البنية الدينامية لهذه المنظومة. فهي تحوي مجموعة من الآليات بمثابة مثيرات يستجيب لها الفرد بردود أفعال معينة. وبذلك يصير العدوان السلوكي فعلاً محصلاً ومكتسباً، أي ناجم عن استجابات خاطئة وسلبية لمثيرات سلبية، تسود منظومته البيئية. وفي هذا الصدد يقول "جون واطسن": "أعطوني خمسة أطفال، وأنا كفيل بأن أجعل من الأول طيباً، ومن الثاني محامياً، ومن الثالث أديباً، ومن الرابع موسيقياً بارعاً، ومن الأخير لصاً أو مجرماً" (المليجي، 2002، صفحة 276). إذن المسألة ترجع إلى المؤثرات البيئية، وليس هنا من مجال لما هو وراثي أو غريزي بالنسبة للسلوكيين.

"فالسلوك ليس سوى ردود أفعال معقدة على مثيرات معقدة، يتلقاها الشخص من بيئته الخارجية أو الداخلية" (حجازي، 1995، صفحة 81)، فالأداء العدواني ينجم عن مثيرات سلبية، وعندما تتكرر هذه المثيرات تدعم وترسخ الاستجابات العدوانية المنحرفة. فالسلوك العدواني المنحرف حسب هذه المدرسة، ينجم عن عملية اشتراط وارتباط بين مثير سلبي واستجابة مشوهة.

2.3.2- سزرلاند: إن عنف الأب وقسوته وشتائمته وتمهيشه للابن أو غيابه الكلي في حالة اليتيم هي مثيرات سلبية، تولّد عند الطفل استجابات انحرافية: كالعدوان والهرب من المنزل والسعي إلى السرقة والتخريب. وعلى أساس المدرسة السلوكية اعتبر "سزرلاند" أن العدوان لدى الأطفال هو سلوك متعلّم ومكتسب، لذا يرى أن كل سلوك جانح هو "سلوك مكتسب ووليد مثيرات خارجية تلقاها المراهق من الجماعة التي ينتمي إليها. أمّا مسألة الدوافع الذاتية فليس لها دور في أحداثه" (حجازي، 1995، صفحة 82).

3.3.2- بيناتل: إنّ الأسباب الاجتماعية والتربوية والثقافية ليست كافية لتفسير ظاهرة العدوانية، ذلك لأنّها تُسقط العوامل النفسية الذاتية من المعادلة. فقد تمكّن "بيناتل" من وضع نظرية النواة المركزية للشخصية العدوانية، حيث حدّد صفات عديدة تتميز بها هذه الشخصية. بعد أن أجرى عدداً كبيراً من الأبحاث حول العدوانيين "لخصّ هذا الباحث خصائص الشخصية العدوانية في أربع عناصر أساسية، تتكرّر بدرجة ملحوظة عند معظم الأشخاص العدائين: الأنوية، الميوعة الوجودية، السادية، واللامبالاة العاطفية" (حجازي، 1995، صفحة 334). وهكذا تأتي نظرية النواة المركزية للشخصية الذاتية لتتكامل مع نظرية النواة الاجتماعية الثقافية. وبناءً على ما تقدّم من بناءات نظرية، نرى أنّ النظريات التحليلية والاجتماعية والسلوكية تتكامل مع بعضها البعض لتوصّف حالة العدوانية لدى الطفل الذي يمتاز سلوكه بالعدوانية والعنف والإحباط وقلة الثقة بالبيئة والتصرفات الضدّ اجتماعية ونزعات التخريب والأذى والشعور بالإهمال والتهميش والرفض.

4-الخلاصة:

لا يمكن اختصار العدوانية والسلوك العدواني في سبب واحد، بل هو نتاج لعدة عوامل ومؤثرات داخلية وخارجية تعزز أنماطا من الاتجاهات والدوافع للسلوك العدواني، وإن تعدد أشكاله ومظاهره يؤكد أنه لا يتصل بشكل محدد مع عامل محدد؛ وهذا يستوجب أن تكون التدخلات الوقائية والعلاجية من عددة جوانب وعدة محاور، وعدم الاعتماد على الأسرة دون المدرسة ودون الإعلام ودون دور العبادة أو الإعتماد الكلي على المعالج النفسي، وهذا يؤكد ضرورة التكاتف بين شرائح المجتمع كافة لمواجهة العوامل والأسباب التي تؤدي إلى تشكل السلوك العدواني لدى الطفل.

-الاحالات والمراجع:

- إبراهيم، عبد الستار. (2005). الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع. مطابع السياسة: الكويت.
- آل رشود، سعد بن محمد. (2006). فاعلية برنامج إرشادي نفسي في خفض درجة السلوك العدواني لدى طلاب المرحلة الثانوية. رسالة دكتوراه. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: الرياض.
- الحفني، عبد المنعم. (2000). الموسوعة النفسية الجنسية. ط3. مكتبة مدبولي: القاهرة.
- الزعبي، أحمد. (2005). مشكلات الأطفال النفسية والسلوكية والدراسية. دار الفكر: دمشق.

- العقاد، عصام. (2001). سيكولوجية العدوانية وترويضها. دار غريب للطباعة والنشر: القاهرة.
- العيسوي، عبد الرحمن. (2005). المشكلات السلوكية في الطفولة والمراهقة. دار النهضة العربية: بيروت.
- المصري، شرين. (2007). فاعلية برنامج سيكودرامي باللعب في خفض حدّة السلوك العدواني لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة. رسالة ماجستير. كلية التربية. البرنامج المشترك بين جامعة الأقصى وعين شمس: غزة.
- المليجي، حلمي. (2002). علم النفس المعاصر. ط2. دار النهضة العربية: بيروت.
- الهمشري، محمد وعبد الجواد، وفاء. (2000). عدوان الأطفال. مكتبة العبيكات: الرياض.
- أنزيو، ديديه. (1990). الجماعة واللاوعي. ترجمة سعاد حرب. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: بيروت.
- حجازي، مصطفى. (1995). تأهيل الطفولة غير المتكيفة. ط1. دار الفكر اللبناني: بيروت.
- حجازي، مصطفى. (1999). الأحداث الجانحون. ط1. دار الحقيقة: بيروت.
- حجازي، مصطفى. (2004). الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة. ط2. المركز الثقافي العربي: بيروت.
- حجازي، مصطفى. (2004). سيكولوجية الإنسان المقهور. ط8. المركز الثقافي العربي، بيروت.
- حسين، محمد. (2016). مشكلات الطفل النفسية. دار الفكر الجامعي: القاهرة.
- حطب، زهير ومكي، عباس. (1980). السلطة الأبوية والشباب. ط1. معهد الإنماء العربي: بيروت.
- عبد المعطي، حسن مصطفى. (2001). الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة: الأسباب - التشخيص - العلاج. مكتبة القاهرة للكتاب: القاهرة.
- عريشي، صديق. (2004). نمو الأحكام الخلقية وعلاقته بالسلوك العدواني لدى عينة من نزلاء مؤسسة التربية النموذجية والتعليم العام في مرحلة المراهقة. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى: مكة المكرمة.
- عمارة، محمد. (2008). برامج علاجية لخفض مستوى السلوك العدواني لدى الأطفال والمراهقين. المكتب الجامعي الحديث: الإسكندرية.
- فرويد، سيجموند. (1998). محاضرات جديدة في التحليل النفسي. ط3. تر. جورج طرابيشي. دار الطليعة: بيروت.

- فرويد، سيجموند. (1999). الحياة الجنسية. ط3. تر. جورج طرايشي. دار الطليعة: بيروت.
- فياض، منى. (2001). قاموس موجز لمفردات علم النفس. الجامعة اللبنانية: بيروت.
- كروزيير، راي. (2009). سيكولوجية الخجل. تر. د. معتز عبدالله. عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت. العدد 361.
- كفاقي، علاء الدين. (1990). الصحة النفسية. هجر للطباعة: القاهرة.
- كفاقي، علاء الدين. (1990). الصحة النفسية. هجر للطباعة: القاهرة.
- لابلاش وبونتاليس. (2002). معجم مصطلحات التحليل النفسي. تر. مصطفى حجازي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: بيروت.
- موسى، رشاد. (1992). سيكولوجيا الفروق بين الجنسين. مختار للنشر والتوزيع: القاهرة.
- يحيى، خولة. (2000). الاضطرابات السلوكية الانفعالية. دار الفكر للطباعة والنشر.

